بسم الله الرحمن الرحيم

الْحِفَاظُ عَلَىٰ الْأَوْطَانِ مِنْ صَمِيمِ مَقَاصِدِ الْأَدْيَانِ ١٥ شَوَّالٍ ١٤٤٤هـ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدِ امْتَنَّ اللهُ ﷻ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِنِعَمٍ جَلِيلَةٍ وَآلَاءٍ جَسِيمَةٍ، مِنْ أَهَمِّهَا وَأَغْلَاهَا نِعْمَةُ الْوَطَنِ، حَيْثُ يَعِيشُ النَّاسُ فِي أَمْنٍ وَأَمَانٍ، وَسَكَنٍ وَطُمَأْنِينَةٍ، وَحَيَاةٍ كَرِيمَةٍ، بِلَا خَوْفٍ أَوْ وَجَلٍ أَوْ فَزَعٍ؛ لِذَلِكَ كَانَ حُبُّ الْوَطَنِ شُعُورًا تُخْفِقُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَحَنِينًا يَمْلَأُ الْوِجْدَانَ، وَقَدْ رَسَّخَ نَبِيُّنَا ﷺ هَذِهِ الْمَعَانِيَ وَأَكَّدَهَا حِينَ خَاطَبَ وَطَنَهُ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ، عِنْدَمَا أُخْرِجَ مِنْهَا، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَكَّةَ: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ».

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ الْفِتَنَ وَالْمِحَنَ وَالْأَزَمَاتِ كَمْ يَظْهَرُ فِيهَا لِلنَّاسِ مِنْ حَقَائِقَ؟ وَكَمْ تَتَكَشَّفُ لَهُمْ مِنْ أُمُورٍ؟ وَكَمْ تَبْرُزُ لَهُمْ مِنْ خَبَايَا؟ وَكَمْ تَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ خَفَايَا؟ كَمْ تَسْقُطُ لَهُمْ مِنْ أَقْنِعَةٍ زَائِفَةٍ؟ وَكَمْ تَظْهَرُ مِنْ شِعَارَاتٍ كَاذِبَةٍ؟ وَيَبِينُ لِلنَّاسِ مَا كَانَ خَفِيًّا عَنْهُمْ، وَلَوْلَا هَذِهِ الْأَزَمَاتُ وَالْمِحَنُ لَمَا ظَهَرَتْ هَذِهِ الْحَقَائِقُ لِلنَّاسِ أَبَدًا، فَفِيهَا خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَفِي طَيَّاتِهَا مِنَحٌ إِلَهِيَّةٌ، لِمَنْ تَأَمَّلَ وَتَدَبَّرَ وَتَفَكَّرَ فِيهَا. وَكَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

جَزَىٰ اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ ... وَإِنْ كَانَتْ تُغَصِّصُنِي بِرِيقِي

وَمَا شُكْرِي لَهَا حَمْدًا وَلَكِنْ ... عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّهُ لَمِنْ أَعْظَمِ الْمُنْكَرَاتِ، وَأَكْبَرِ الضَّلَالَاتِ مَا يَحْصُلُ فِي بَلَدِنَا وَبِلَادِ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ عَلَىٰ أَيْدِي فِئَةٍ ضَالَّةٍ مَارِقَةٍ، خَرَجَتْ عَنِ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَتِ الْجَمَاعَةَ، فَأَقْدَمَتْ عَلَىٰ أَقْبَحِ الْإِجْرَامِ، وَاقْتَحَمَتْ كَبَائِرَ الْآثَامِ، وَصَارَ أَهْوَنَ مَا لَدَيْهِمْ أَنْ يُزْهِقُوا الْأَنْفُسَ الْمَعْصُومَةَ، أَوْ يُتْلِفُوا أَمْوَالَ الْمُسْلِمِينَ الْمُحْتَرَمَةَ، أَوْ يَعْتَدُوا عَلَىٰ مُقَدَّرَاتِ الْبَلَدِ بِغَيْرِ وَجْهِ حَقٍّ، أَوْ يَتَمَرَّدُوا عَلَىٰ رِجَالِ الْأَمْنِ وَيَتَقَصَّدُوهُمْ، أَوْ يُرَوِّعُوا الْآمِنِينَ وَيَحْمِلُوا السِّلَاحَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ، يَأْتُونَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَوْ بَعْضَهُ، وَكَأَنَّهُمْ

لَمْ يَقْرَؤُوا كِتَابَ اللهِ، وَلَمْ يَطَّلِعُوا عَلَىٰ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ ﷻ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي وَصْفِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ :﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**»، وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا فَاعْتَبَطَ بِقَتْلِهِ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا**»، وَأَخْرَجَ مُسلِمٌ والتِّرْمِذِيُّ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «**مَنْ أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّىٰ يَدَعَهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ**». هَذَا غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ مِنَ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، الَّتِي تُبَيِّنُ عِظَمَ أَمْرِ النُّفُوسِ الْمَعْصُومَةِ، وَقَدْرَ الْأَمْوَالِ الْمُحْتَرَمَةِ، وَفَدَاحَةَ الْقَتْلِ وَالتَّخْرِيبِ وَالتَّرْوِيعِ، وَتَدُلُّ بِمَجْمُوعِهَا عَلَىٰ عِظَمِ شَأْنِ الْأَمْنِ، وَوُجُوبِ مَا يَضْمَنُ حِفْظَهُ وَحِمَايَةَ سِيَاجِهِ، لَكِنَّ مَنْ شَقَّ عَصَا الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَبُلِيَ بِتَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ دُونَ بُرْهَانٍ، لَا يُهِمُّهُ بَعدَ ذَلِكَ مَا يُقْدِمُ عَلَيْهِ مِنَ الْجَرَائِمِ وَالْمُوبِقَاتِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِوُلَاةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ عَقِيدَةٌ يَرْتَضِيهَا الْمُسْلِمُ؛ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَيْسَتْ عِنْدَهُ مَجَالًا لِلْمُسَاوَمَاتِ، أَوْ عُرْضَةً لِلتَّذَبْذُبِ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ، أَوِ التَّبَدُّلِ مِنْ زَمَنٍ إِلَىٰ آخَرَ، تَبَعًا لِمَا يُعْطَاهُ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، أَوْ يُمْنَعُهُ مِنْ شَهَوَاتِهَا، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَأْمُرُ

مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ»، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَلَّامٍ قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فَجَاءَ اللهُ بِخَيْرٍ، فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ، لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ، قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ». قَالَ الْحَافِظُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمِنْهَاجِ شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ حَجَّاجٍ»: أَمَّا الْخُرُوجُ عَلَيْهِمْ وَقِتَالُهُمْ فَحَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ كَانُوا فَسَقَةً ظَالِمِينَ، وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَحَادِيثُ بِمَعْنَىٰ مَا ذَكَرْتُهُ، وَأَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ أَنَّهُ لَا يَنْعَزِلُ السُّلْطَانُ بِالْفِسْقِ، وَأَمَّا الْوَجْهُ الْمَذْكُورُ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ يَنْعَزِلُ، وَحُكِيَ عَنِ الْمُعْتَزِلَةِ أَيْضًا، فَغَلَطٌ مِنْ قَائِلِهِ، مُخَالِفٌ لِلْإِجْمَاعِ. قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَسَبَبُ عَدَمِ انْعِزَالِهِ، وَتَحْرِيمِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِ: مَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْفِتَنِ، وَإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ، وَفَسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَتَكُونُ الْمَفْسَدَةُ فِي عَزْلِهِ أَكْثَرَ مِنْهَا فِي بَقَائِهِ. اهـ

أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ»، عَنْ أَبِي حَازِمٍ سَلَمَةَ بْنِ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللهُ، أَنَّهُمْ أَتَوْهُ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا حَازِمٍ أَمَا تَرَىٰ قَدْ غَلَا السِّعْرُ؟ فَقَالَ: وَمَا يَغُمُّكُمْ مِنْ ذَلِكَ؟ إِنَّ الَّذِي يَرْزُقُنَا فِي الرُّخْصِ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُنَا فِي الْغَلَاءِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: انْتَبِهُوا رَحِمَكُمُ اللهُ لِمُخَطَّطَاتِ الْأَعْدَاءِ، وَاحْرِصُوا عَلَىٰ كُلِّ مَا فِيهِ حِفْظٌ لِلْجَمَاعَةِ، وَحِمَايَةٌ لِلْأَمْنِ، وَاحْذَرُوا - عَافَاكُمُ اللهُ - أَنْ تُسَلِّمُوا أَبْنَاءَكُمْ لِغَالٍ مُتَنَطِّعٍ، يُهَدِّدُ الْأَمْنَ، وَيَزْرَعُ الشَّرَّ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَيَسْلُكُ مَسْلَكَ الْغُلُوِّ وَالِانْحِرَافِ، وَالْخُرُوجِ عَلَىٰ الْوُلَاةِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ مَحَبَّةَ الْوَطَنِ تَقْتَضِي عَدَمَ الْإِتْيَانِ بِمَا مِنْ شَأْنِهِ زَعْزَعَتُهُ وَضَعْفُهُ، مِنَ التَّفَرُّقِ وَالتَّشَرْذُمِ؛

لِأَجْلِ ذَلِكَ حَذَّرَ اللهُ ﷻ مِنْهُ كَثِيرًا فِي كِتَابِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، فَكَمْ أُهْلِكَتْ مِنْ قَبْلِنا أُمَمٌ بِسَبَبِ تَنَازُعِهِا، وَانْمَحَتْ حَضَارَاتٌ بِسَبَبِ تَفَرُّقِ أَهْلِهَا.

إِنَّ أَوَّلَ نَوَاةٍ لِبِنَاءِ الْوَطَنِ وَقِيَامِ الدَّوْلَةِ: التَّآلُفُ وَالتَّوَادُّ، وَهَذَا مَا حَرَصَ عَلَيْهِ نَبِيُّنَا الْكَرِيمُ ﷺ، وَهُوَ يَضَعُ أُسُسَ الدَّوْلَةِ الْمُسْلِمَةِ فِي الْمَدِينَةِ، فَآخَىٰ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَوَضَعَ وَثِيقَةَ الْمَدِينَةِ، وَبَثَّ رُوحَ التَّآلُفِ وَالْمَحَبَّةِ.

إِنَّ هُنَاكَ - يَا عِبَادَ اللهِ- مَنْ لَا يَحْلُو لَهُمْ إِلَّا قَطْعُ حِبَالِ تَآلُفِكُمْ، وَتَمْزِيقُ أَوْصَالِ وِحْدَتِكُمْ، وَهَدْمُ بِنَاءِ دَوْلَتِكُمْ، فَلَا يَفْتَؤُونَ يَنْشُرُونَ الشَّائِعَاتِ، وَيَبُثُّونَ الِافْتِرَاءَاتِ، لِأَجْلِ إِضْعَافِ مَنْزِلَةِ الْوَطَنِ فِي النُّفُوسِ، وَهَدْمِ الشُّعُورِ بِالِاعْتِزَازِ بِهِ، مُسْتَغِلِّينَ فِي ذَلِكَ وَسَائِلَ التَّوَاصُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ. فَاحْذَرُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ- أَنْ تَكُونُوا لِهَؤُلَاءِ أَبْوَاقًا، أَوْ تَجْعَلُوا نَوَادِيَكُمْ لِبِضَاعَتِهِمْ أَسْوَاقًا، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ خِيَانَةً وَتَضْيِيعًا لِلْأَمَانَةِ.

وَقِفُوا أَيُّهَا الْأُخْوَةِ صَفًّا وَاحِدًا فِي وَجْهِ كُلِّ مُرْجِفٍ، وَتَنَبَّهُوا لِسَعْيِ كُلِّ مُفْسِدٍ، اغْرِسُوا فِي أَبْنَائِكُمْ حُبَّ الْوَطَنِ وَالِاعْتِزَازَ بِإِنْجَازَاتِهِ الْحَاضِرَةِ وَمَجْدِهِ التَّلِيدِ، حَتَّىٰ يُحَقِّقُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَعْنَىٰ الْمُوَاطَنَةِ الصَّالِحَةِ، فَهُمْ أَمَلُ الْوَطَنِ بَعْدَ اللهِ ﷻ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ غَدَا فِكْرُ الْخَوَارِجِ الضَّالِّينَ خَطَرًا عَلَىٰ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَكَادُ تَخْلُو مِنْهُمُ الْبِلَادُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَغَيْرُ الْإِسْلَامِيَّةِ. هَؤُلَاءِ الْمُنْحَرِفُونَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، كَمْ خَدَعُوا مِنْ شَابٍّ وَشَابَّةٍ، بَلْ فَتًى وَفَتَاةٍ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ تَحْذِيرٌ مِنْ فِرْقَةٍ بِعَيْنِهَا مِنْ فِرَقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا الْخَوَارِجَ، فَقَدْ وَرَدَ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ حَدِيثًا بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَوْ حَسَنٍ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِضَرَرِهِمُ الْجَسِيمِ عَلَىٰ الْأُمَّةِ، وَالْتِبَاسِ أَمْرِهِمْ عَلَىٰ النَّاسِ، وَاغْتِرَارِهِمْ بِهِمْ؛ إِذْ ظَاهِرُهُمُ الصَّلَاحُ وَالتَّقْوَىٰ، وَلِأَنَّ مَذْهَبَهُمْ لَيْسَ قَاصِرًا عَلَىٰ الْآرَاءِ وَالْأَفْكَارِ، بَلْ يَتَعَدَّىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ سَفْكِ الدِّمَاءِ.